نَقْدُ الشَّعَائِر

من جهة التحضّر والحضارة

من كتاب: فقه الشعائر الدينيّة
النهج الإلهي لإبقاء الدين وإحياء الأمّة

آية الله الشيخ
فَاضِل الصَّفَّار

الناشر

Shia-Documents

نقد الشعائر

من جهة التحضّر والحضارة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يقال بأنّ بعض الشعائر الحسينية لا سيّما مثل الإدماء وضرب السلاسل تتضمّن أساليب للتعبير عن الحبّ والمودّة غير حضارية ، ولا تتناسب مع متطلّبات الزمان ، وهذا القول يتضمّن دعويين :

الأُولى : ضرورة التخلّي عن مثل هذه الشعائر .

والثانية : ضرورة اتّباع الأساليب الجديدة التي تتواكب مع العصر ، وقبل مناقشة هذا القول نلفت النظر إلى ثلاث ملاحظات :

الملاحظة الأُولى : أنّ المستشكل اكتفى بجانب النقد ولم يوضّح ما هي الأساليب الحضارية التي تتناسب مع متطلّبات الزمان لتكون البديل المناسب للشعائر غير الحضارية على حدّ تعبيره .

الملاحظة الثانية : أنّه حصر الأساليب غير الحضارية بالشعائر فقط فوصفها بهذه الصفة ، مع أنّ عين الإنصاف تكشف عن وجود عشرات المظاهر غير الحضارية في حياة المسلمين والتي كانوا يزاولونها ولا زالوا ولم تنتقد ، أو توجّه إليها الاعتراضات من قبيل الفوضى الإدارية في الدوائر ، والنزاعات المسلّحة بين الأطراف ، والأُمّية والجهل ، والفساد المستشري في جوانب كثيرة من الدول والمجتمعات ، والقمع السلطوي والسجون والمعتقلات المليئة بالأحرار، والتحزّب والتعصّب القومي والاستبداد ، وغير ذلك من مظاهر خطيرة تكشف عن تدنّي المستوى الثقافي والسياسي والاجتماعي في البلاد لا

سيّما الإسلامية ولم ينتقدها المستشكل ، ولا يوجّه إليها الاعتراض كما يوجّه نقده للشعائر والتي هي في نفسها من أبرز مظاهر الرقي الفكري والتمسّك بالحقّ ونصرة العدالة ، وتدعو إلى التخلّص من الظلم والطغيان ، وتحرّر الأُمّة من براثن الفساد ، وهذا النهج المتناقض في الإشكال والاعتراض يثير الغرابة والاستفهام .

الملاحظة الثالثة : أنّ العديد من الذين يصفون الشعائر بهذا الوصف ويدعون إلى تجديدها أو إلغائها لم يقدّموا شيئاً في هذا السبيل ، فهم عادة لا يشاركون في إحياء الشعائر المعهودة التي أسّسها الأئمّة(عليهم السلام) وجرت عليها سيرة المتشرّعة منذ قديم الأيّام بحجّة أنّها أعمال غير حضارية، ولم يقوموا بالأدوار التي يرونها حضارية في إحياء الشعائر أو هداية الناس وتعليمهم نهج عاشوراء ، ولم يساهموا مع الذين يحيون الشعائر بالطريقة الحضارية على ما يقولون بالقدر المطلوب ، فلم يشاركوا في أفلام سينمائية مثلا لتخليد عاشوراء ، ولم يفتحوا المدارس لتخريج الباحثين والمفكّرين في قضايا عاشوراء ، ولم يؤسّسوا الفضائيات لهذه الغاية، ولم يقوموا بأيّة وسيلة يرونها حضارية إلاّ من شذّ وندر ، وهذا أمر يثير الاستفهام العريض على نهج المعترضين ودواعيهم من النقد ، على أنّ إحياء الدين وذكرى عاشوراء بالوسائل الجديدة كالأفلام والبرامج الفضائية والندوات والمؤتمرات كلّها أُمور ضرورية لابدّ من استثمارها لهذا السبيل ، ولكن علينا أن لا نغفل عن أنّ أبناء الأُمّة ليسوا جميعاً من أهل الفكر والبحث ، وليس جميع أبناء الأُمّة تستهويها الأفلام ، أو تجذبها الندوات والمؤتمرات ، كما ليست جميع الأُمّة تجذبها الشعائر بالطرق المعهودة.

فالحكمة تقتضي أن تخلّد عاشوراء بالطريقين معاً ، ويترك للناس اختيار

الطريقة التي يختارونها ، وما دام الجميع يحمل غاية الأمر بالمعروف وإحياء الدين ونصرة الإمام الحسين (عليه السلام) ومواساته فإنّ الله يعطي الجميع أجره ، ولا دليل يمنع هذا الأُسلوب أو ذاك ، فيعظّم الشعائر من يريد الطريقة الحضارية بطريقته ، وليعظّم الناس الذين يريدون الطريقة المعهودة بلا خلط للأوراق ولا المفاهيم .

إذا عرفت هذه الملاحظات نقول : إنّ نقد الشعائر من جهة التحضّر والحضارة لا يستقيم أمام المناقشة العلمية ، وذلك لعدّة وجوه :

الوجه الأوّل : أنّه مجمل أو غامض ; لأنّه لم يعرّف ما هو العمل الحضاري؟ وما هي سماته ؟ وما هو العمل غير الحضاري حتّى يلاحظ مدى صحّة إطلاق هذا الوصف على الشعائر ؟

وبعبارة أُخرى أنّه لم يحدّد الضابطة التي في ضوئها يحكم على العمل أنّه حضاري أو غير حضاري . كما لم يحدّد من الذي يمكنه أن يحكم على العمل بأنّه حضاري أو غير حضاري وبأيّة حجّة .

وبعد ذلك يبقى سؤال عريض هو أنّنا إذا افترضنا وجود بعض الأساليب غير الحضارية في الشعائر فما هو الضرر المترتّب عليها ؟ وما هي الخسائر الناجمة عن ممارسة الشعائر غير الحضارية كما يزعم ، سواءً على البعد الديني أو السياسي أو الاجتماعي ؟ ثمّ ما هي الغاية من تصيير الأساليب الشعارية حضارية ؟ هذه الأسئلة وغيرها تواجه الذين يصفون بعض الشعائر الحسينية بأنّها غير حضارية ولم يوضّحوا المراد منها ، والنهج العلمي يستدعي تحديد كلّ هذه المعاني للنظر في مدى صحّة الإشكال من ضعفه ، ومن دون ذلك ينسدّ طريق الحوار ، ويصبح الإشكال دعوى من دون دليل ، أو يدخل في باب المغالطة أو الترف الفكري . هذا فضلا عن مخالفة الدعوى للعقل والوجدان ;

لأنّ الشعائر الحسينية في مجملها ترجع إلى أساسين هما :

الأوّل : الفطرة ، لأنّ أساليبها إنسانية فطرية يظهرها الناس لشعورهم بالحزن والمصيبة ، أو لشعورهم بالحب والولاء ، أو للتعبير عن تضامنهم وإيمانهم بالإمام الحسين (عليه السلام) وعاشوراء ، والفطرة والفطريات أُمور حقيقية في ذات الإنسان لا تتّصف بحضارة أو غير حضارة ، وإلاّ لاستلزم أن نجرّد الإنسان من إنسانيته بحجّة التحضّر والحضارة .

والثاني : الدين ; إذ إنّ بعض الشعائر طقوس ومراسم دينية أسّسها الأئمّة (عليهم السلام) لهداية الناس ، وتحريك نوازع الخير والمحبّة والتقوى فيهم، وشدّهم إلى الدين عن طريق الحزن والمصيبة على الإمام الحسين (عليه السلام) الذي هو من أبرز معالم الدين ، وأوسع مدرسة تربوية هادفة ، والمراسم الدينية قرّرها الشرع ليختبر عبودية الإنسان وتسليمه لربّه ، وللارتقاء به معنوياً ومعرفياً إلى مستويات تليق بخلافته لله سبحانه على الأرض .

وبالتالي فهي أبعد ما تكون عن فكر البشر القاصر ، ولا يمكن وصفها بأنّها حضارية أو غير حضارية ; لأنّ لازم ذلك فسح المجال للتشريع والاجتهاد في الدين ، لا سيّما وأنّ المعايير البشرية متغيّرة ، فما يراه البعض أنّه غير حضاري قد يراه آخرون حضارياً ، وما يعدّ اليوم حضارياً قد يعدّ بعد مدّة غيره ، إلى غير ذلك ممّا يسبّب الفوضى أو اختلال النظام ، ونلاحظ أنّ إقحام التحضّر والحضارة في الشعائر الحسينية خروج عن المنطق والعقل والوجدان .

الوجه الثاني : أنّ الإشكال مبني على صغرى مفادها أنّ بعض الشعائر غير حضارية ، وكبرى وهي أنّ العمل غير الحضاري يجب اجتنابه أو لا أقل يجب تحسين أداء المراسم العزائية لتكون مواكبة للتحضّر والحضارة ، مع أنّ الإشكال في صغراه وكبراه مخدوش . أمّا الصغرى فلأنّ لنا أن نسأل كيف

عـرف المستشـكل بـأنّ إخـراج الـدم مثـلا في مواسـاة الإمـام الحسـين (عليـه السـلام) عمـل غـير حضـاري ؟ وبـأي ميـزان حكـم بذلـك ؟ والجـواب أنّ الميـزان لا يخلـو مـن احتـمالات :

الاحتـمال الأوّل : أن يكـون الميـزان الديـن ، وهـذا مـا لا يمكـن الالتـزام بـه ; لأنّ الشـعائر جـزء مـن الديـن ، بـل هـي مـن أهـمّ أُصولـه وفروعـه ، ووصـف الجـزء بأنّـه غـير حضـاري مـلازم عرفـاً وعقـلا إلى وصـف الـكل بأنّـه غـير حضـاري أيضـاً ، وهـذا مـا لا يتفـوّه بـه متديّـن .

الاحتـمال الثـاني : أن يكـون الميـزان العلـماء والفقهـاء ، باعتبـار أنّ التحـضّر مـن الموضوعـات المسـتنبطة فيرجـع إليهـم في تحديـده ، وهـذا مـا لا يمكـن الالتـزام بـه; لأنّ بعـض الفقهـاء أفتـوا باسـتحباب هـذه الشـعائر التـي يراهـا المستشـكل غـير متحـضّرة ، وبعضهـم أفتـى بجوازهـا ، ولم يبالـوا بالدعـوى المذكـورة .

الاحتـمال الثالـث : أن يكـون الميـزان العـرف العقلائـي ، باعتبـار أنّـه مـن الموضوعـات العرفيـة ، وهـذا مـا لا يمكـن الالتـزام بـه أيضـاً ; لأنّ الملايـين مـن العقـلاء يمارسـون الشـعائر بأسـاليبها المختلفـة ، والملايـين منهـم يشـاهدونها ولم يعـرف أنّهـم وصفوهـا بعـدم التحـضّر .

أمّـا العـرف المتديّـن فلأنّـه يجدهـا جـزءاً مـن الديـن ، وأمّـا العـرف غـير المتديّـن فلأنّـه يراهـا ممارسـة حـرّة للعقيـدة ، ولـذا تحميهـا القوانـين والأنظمـة العالميـة ، لا سـيّما في المجتمعـات المسـيحية ونحوهـا ، فإنّهـم يفصلـون بـين الديـن وبين السياسـة وبـين المعتقـدات الشـخصية وبـين غيرهـا ، وهـم يعـدّون التدخّـل في المعتقـدات الشـخصية والحكـم عليهـا عمـلا غـير حضـاري ، ولـذا تجـد أنّهـم لا زالـوا يـؤدّون مراسـمهم وطقوسـهم الدينيـة بحسـب الطـرق القديمـة ، ولم يحـدّدوا الأسـاليب التـي يظهـرون بهـا معتقداتهـم . هـذا في المسـيحية التـي هـي الديانـة الكـبرى في

البلاد المتحضّرة ، ومثله يقال في المذاهب والأديان الأُخرى .

الاحتمال الرابع : أن يكون الميزان العرف الغربي وثقافته الخاصّة القائمة على أساس جملة من المحرّمات الشرعية والقبائح العقلية والنقلية نظير الانحلال الأخلاقي ، والتفكّك الأُسري ، والظلم ، ونحوها من مظاهر الأنانية والفساد كما هو معروف .

وهذا المعنى وإن كان قد يتبادر إلى الأذهان أوّلا من عبارة الأساليب الحضارية أو التحضّر باعتبار أنّ المجتمع الغربي هو المثال للتحضّر والحضارة عند البعض ، ولكن لا نظنّ أنّ المستشكل إن كان من المتديّنين يلتزم بهذا الميزان ، وذلك لأنّ العرف الغربي لا يصلح أن يكون قدوة للمجتمع المسلم ; للتباين الكبير في المفاهيم الثقافيةوالموازين الدينية والعرفية بين المجتمعين ، بل المجتمع الغربي في نفسه يمارس طقوساً وممارسات اجتماعية أو رياضية تخرج عن النهج الإنساني فضلاعن الديني والحضاري من قبيل مصارعة الثيران التي تتضمّن ظلماً كبيراً للحيوان ، وأضراراً بعضها خطيرة تصيب المصارعين، والمصارعة الحرّة والملاكمة القائمة على تهشيم عظام المتلاكمين أحياناً ، وسباق السيارات والدراجات التي فيها خطر الموت ، وبعض الأساليب تتضمّن الجزاف والعبثية ، نظير يوم الطماطم[1]، وعيد البرتقال[2]، ومهرجان الجبنة

---

١ - احتفال يقام في اسبانيا وغيرها ; إذ يجتمع الآلاف من الناس يتراشقون بالطماطم، يسمّى بعيد (توماتينا) وفي كلّ سنة يحضره ثلاثون ألف سائح ، وفي بعض الأحيان يتطوّر الأمر إلى شجار عنيف بينهم .

٢ - وهو مهرجان يقام في ايطاليا في مدينة (افيرا) بالخصوص ، وهو تعبير عن تمرّد شعبي حدث في القرن الثالث عشر لمّا خرج المواطنون وقاموا برمي حاكمهم بفاكهة البرتقال ، ولا زال الإيطاليون يزاولونه .

المتدحرجة[1]، ويوم الشوكولا ونحوها[2].

ومن كانت هذه سماته لا يمكن أن يكون قدوة يحتذى به في المجتمع المسلم، على أنّ هذا المجتمع في نفسه منقسم تجاه الشعائر، والأكثرية الساحقة منه تراها أساليب دينية تحظى بالاحترام والتقديس، وفي كلّ عام يدخل العديد من أبناء ذاك المجتمع في الإسلام والتشيّع بسبب الشعائر الحسينية.

الاحتمال الخامس: أن يكون الميزان شيئاً آخر لم يبيّنه المعترض، أو لا يعلمه، فيدلّ على أنّ الإشكال هو إلى الوهم أقرب منه إلى الحقيقة، ولذا قال بعض المراجع في إحدى محاضراته: إنّ النقد الذي يوجّهه بعض المؤمنين إلى الشعائر في الغالب ناشئ من التأثّر بالفكر الغربي، أو الشعور بالنقص والهزيمة النفسية تجاه تلك الثقافة، ولم يقم على أُسس صحيحة للنقد والتوجيه.

ولا زال العالم الغربي يكنّ غاية الاحترام للتقاليد والأعراف، ويعدّ التراث التأريخي والديني جزءاً من هوية الأُمّة وخصوصياتها السيادية، ولم يعرف عن قادتهم وعلمائهم أنّهم انتقدوا الشعائر وهي كانت ولا زالت تقام بين أظهرهم بأنّها أعمال غير حضارية، بل إنّهم يمارسون الكثير من الشعائر الدينية التي فيها أكثر من الإدماء، ويعدّونها من العقيدة وسمو النفس المتديّنة، نظير التسمير الذي يتمّ بدقّ المسامير في أيدي جماعة، ويرصفون على الصليب لمواساة السيّد المسيح (عليه السلام)؛ لاعتقادهم أنّ هذا الأُسلوب جرى على

---

١ - احتفال عظيم في انجلترا، ويتمّ بملاحقة جماعة من المتسابقين عجلة من الجبن وزنها (٧) كيلوات ترمى من أعلى تل، ومن يصل إليها أوّلا يحتفظ بها، وهو تقليد يزاولونه تقليداً لما وصلهم من العصر الروماني.

٢ - في اسكتلندا مثلا يقوم الاسكتلنديون بحرق سفينة بارتفاع (٣٢) قدماً في عيد يسمّى (أب هيلي) ويعني نهاية الأيّام المقدّسة، وفي روسيا وفي المدن الأرثودوكسية بالخصوص وقبل الأعياد بأسبوع يقام احتفال ضخم يسمّى (الملاكمة الحرّة) وفيه يتصارع الشباب بدون قواعد، ويدمون أنفسهم اتّباعاً لتقليد قديم كان المقاتلون لا يتركون الحلبة دون أن يتلطّخوا بالدماء من كثرة الضرب، وفي اميركا تقام مسابقات للمصارعة يحضرها الكثير تعتمد على إدماء المتصارعين بعضهم للبعض الآخر، كما يقام مهرجان في مدينة بوسطن، وهو عبارة عن مسيرة تسمّى (الزوجين) تبتدئ من بوسطن إلى ساحة جامعة (هارمزد كامبريدج) هدفها تحصيل الوقت الممتع فقط.

المسيح نفسه ، وبعضهم يحملون الصليب على ظهورهم مسافات طويلة تعبيراً عن الآلام ، والملحوظ أنّهم يصوّرون ذلك ويعرضونه على شاشات التلفاز ; لأنّهم يعدّونها من المظاهر التي تحترم الدين وتقدّس مبادئه ، وتقديس الدين واحترامه من مظاهر الحضارة والتحضّر في البشر .

أمّا مناقشة الكبرى فتتمّ من جهتين :

الجهة الأُولى : النصوص الكثيرة الدالّة على وجوب الاقتداء بالأنبياء والأولياء (عليهم السلام) والمؤمنين في الدين ، وعدم جواز الاقتداء بغيرهم ، بل نصّت الآيات على أنّ الاقتداء بالأنبياء من علائم الإيمان ; إذ قال سبحانه: **(لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)**[1] وقال سبحانه: **(مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)**[2] وقد عرفت أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي أسّس نهج الحزن على الإمام الحسين (عليه السلام) ، وعلّم الأُمّة إحياء البكاء والمصيبة عليه قبل شهادته، وقد مضى على هذا النهج الأئمّة (عليهم السلام) ، وعلّموا شيعتهم ذلك، وقبلهم سائر الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) حيث بكوا على الإمام الحسين (عليه السلام) وواسوه بدمائهم كما مرّ عليك ، ووجوب الاقتداء بهم يستدعي المواصلة على تعظيم الشعائر بأساليبها المعهودة .

ومن هنا يتّضح أنّ الدعوى المذكورة لو أُريد العمل بها فإنّها تستلزم مخالفة الشريعة في أمرين :

أحدهما : أنّها تدعو إلى الاقتداء بالمجتمع الغربي ومفاهيمه وترجيحه على الاقتداء بالنبي (صلى الله عليه وآله) والأئمّة (عليهم السلام) والمؤمنين على

---

١ - سورة الأحزاب : الآية ٢١ .

٢ - سورة الحشر : الآية ٧ .

أنّ المجتمع الغربي الذي يتّبع موسى وعيسى (عليهما السلام) لابدّ وأن يقتدي بهما في مواساة الإمام الحسين(عليه السلام).

وثانيهما : نسبة النقص والقصور إلى الشريعة في فهم ملاكات الأحكام ، بل وترجيح الرأي الشخصي على حكم الله سبحانه ، وهو من أجلى مصاديق العمل بالرأي في الدين .

والجهة الثانية : أنّ الدعوى المذكورة تستلزم جعل المجتمع الغربي بأفكاره وتصوّراته حجّة على المسلمين ، وهذا يستلزم التخلّي عن الأحكام الشرعية استناداً إلى رأي ذلك المجتمع ، وهذا من أجلى مصاديق التشريع وأسوئه ، على أنّ التحضّر في نفسه ليس بواجب شرعي ولا عقلي ، ولا واجب أخلاقي ; إذ لم يدلّ دليل يلزم بذلك . نعم غاية ما هناك أنّ العقل قد يحبّذ اتّصاف الإنسان بالتحضّر في الأعمال والممارسات ، ولكنّه يحبّذها في السلوك الشخصي والمعاملة مع الناس لا في المراسم والشعائر الدينية التي تؤخذ من الدين ، وعرف المتديّنين تعبّداً ، وعلى فرض حكمه حتّى في الشعائر فإنّ تحبيذه لا يصل إلى درجة الإلزام حتّى يصلح لمنع الأحكام الشرعية التي علم ثبوتها شرعاً ; بداهة أنّ العقل قاصر عن بلوغ الملاكات الواقعية للأحكام ، والاستحسان العقلي لا يصلح لرفع الأحكام أو ثبوتها ; لأنّه من أجلى مصاديق العمل بالظنّ ، وقد نهى الشرع عنه .

الوجه الثالث : على فرض التسليم للكبرى جدلا ولو من باب المقتضي فإنّ العمل بالدعوى المذكورة مبتلى بالمانع ، وذلك لأنّ رفع اليد عن بعض الشعائر بسبب خروجها عن التحضّر يستلزم رفع اليد عن غيرها إذا خرجت عن التحضّر أيضاً ; للاشتراك في العلّة ، وحيث إنّ مفهوم التحضّر لا يتوقّف عند حدّ ، والضابطة فيه الذوق الغربي أو العرف غير الملتزم بالدين وقيمه

بحسب ما يراه المستشكل فإنّ ذلك يستدعي فتح باب رفع الأحكام إذا اتّهمت بهذا الاتّهام .

وعليه فإنّه قد يرى في مستقبل الأيّام أنّ البكاء على الإمام الحسين (عليه السلام) أو إقامة مجالس الذكر والمصيبة أو الزيارة لمرقده الطاهر عمل غير حضاري ، فلابدّ حسب الدعوى المذكورة أن نرفع اليد عن ذلك كلّه ، ثمّ إذا سرى الإشكال إلى بعض فروع الدين الأُخرى كمراسم الحجّ والعمرة وشعائرهما ، وأصبح لبس لباس الإحرام والعمل بمحرّمات الإحرام أو رمي الجمرات عملا غير حضاري ، وروّج له في العالم بواسطة وسائل الإعلام المشتراة بالمال والخاضعة للسياسة الغربية ، وصنعت أجواء إعلامية ضاغطة على المسلمين تنسب هذه المراسم إلى عدم التحضّر فإنّه ـ وبحسب هذا المنطق ينبغي أن نرفع اليد عنها .

وهكذا لو سرى الأمر إلى حجاب النساء ومنع الاختلاط المحرّم بين الجنسين ولبس اللباس المحتشم للنساء والرجال حتّى لا يبقى شيء من أحكام الدين إلاّ ورفع أو هدّد بالرفع بما يوجب القطع بالخروج من الدين، وصيرورة المجتمع المسلم العوبة بأيدي الآخرين يتحكّمون به كما يشاؤون، ونلاحظ أنّ الدعوى في نفسها متهافتة ; لأنّ بعض الداعين إليها ربما أرادوا الحفاظ على سمعة الدين والمذهب وتنزيهه ممّا يرونه نقصاً ، لكنّهم بنوا الإشكال على دعوى تنتهي إلى إبطال الدين ، وتلغي أحكامه ومعالمه .

الوجه الرابع : أنّ الدعوى المذكورة لم تستند إلى فهم عميق للدين وغاياته الإلهية ولا إلى التحضّر والحضارة ، وذلك لأنّها قائمة على القبول بوجود شعائر دينية تتّسم بالصفة غير الحضارية ، وهذا الفهم غير دقيق ; لأنّ الدين الذي شرّعه الباري ووضع نهجه النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمّة (عليهم

السلام)بالتوجيهات الربّانية المعصومة لا يمكن أن يتّصف بنقص أو شائبة ولو بنحو التحضّر والحضارة التي يزعمها المستشكل ، فإنّ المتأمّل في حكمة الدين من تشريع الأحكام لا سيّما تعظيم الشعائر يجد أنّها تحتوي على مصالح اجتماعية وسياسية كبيرة تعود على جميع الأُمّة ، وهذه المصالح هي في نفسها من مظاهر التحضّر والحضارة ; لأنّها ترتقي بالإنسان المسلم إلى مستوى عال من الشعور بالمسؤولية والتلاحم والوعي والتضامن مع الحقوق المهضومة والنصرة للمظلومين ، والتبرّي من الظلم وأهله وإعلان الحرب عليهما .

وهذه قضايا عظمى أرسل لأجلها الأنبياء (عليهم السلام) ، وأُنزلت الكتب السماوية، وهي من أهمّ الغايات التي ينشدها البشر في جميع حضاراته، وإذا ارتقت الحضارة الإنسانية يوماً إلى مستواها الرفيع فإنّها لا تأتي بأكثر ممّا جاء به الإسلام من قيم ومبادئ حقّة ، ولا ترتقي بأكثر ممّا جسّده الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه في عاشوراء ، وأراد للأُمّة أن تقتدي به وتتحرّر من القيود التي تستعبد الناس وتقودهم إلى الهاوية ، وقد مرّ عليك أنّ تعظيم الشعائر الحسينية هو إحياء لمبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) وأهدافه ، وإحياء مبادئ الإمام الحسين (عليه السلام) هو إحياء للدين وإبقاء لقيمه ومناهجه في الحياة الإنسانية ، ولا يمكن للأُمّة المسلمة أن تحفظ هويتها الإسلامية ، ولا تحتفظ بمصالحها وحقوقها إلاّ عبر تكريس الشعائر الحسينية فيها ، ومن دون ذلك لم يبق للإسلام شيء يذكر ، ولا للمسلمين قائمة .

فالحقّ أنّ العلاقة بين الشعائر الحسينية والتحضّر والحضارة لا تنفكّ، وبينهما تلازم دائم ، والتخلّي عنها ومتابعة المجتمع الغربي هو في نفسه عمل لا يعبّر عن تحضّر ، ولا عن مستوى رفيع من الوعي والمعرفة ; لأنّ الحضارات الإنسانية قائمة على أساس شكر جهود قادتها وزعمائها وشهدائها

الذيـن ضحّـوا لأجـل النـاس وإعـمار الحيـاة بالخـير ، وأنـارت طرقهـا بالحـبّ والمعرفـة ومحاربـة الظلـم لا جحـود هـذه الجهـود ونسـيانها ، ولا توجـد شـخصية في العـالم الإنسـاني قـدّم للإنسـان في جميـع معتقداتـه وأحيـا الرسـالات السـماوية برمّتها كـما قدّمـه الإمـام الحسـين (عليـه السـلام) ، وهـو فـوق ذلـك كلّـه ثـار الله وحقّـه وكرامتـه الـذي أراده الله سـبحانه أن يكـون مظهـر عزّتـه ومحبّتـه ورحمتـه، ولا يوجـد أُسـلوب أحيـا الديـن وأبقـى أحكامـه ومعالمـه كالشـعائر الحسـينية، وهـي التعبـير الأوفـق بالشـكر والتثمـين لجهـوده المخلصـة في سـبيل النـاس والحيـاة الحـرّة .

فوصـف هـذه الشـعائر بعضهـا أو كلّهـا بأنّهـا أعـمال غـير حضاريـة ينجـم عـن قصـور في فهـم التحـضّر ، أو قصـور في فهـم الديـن وفهـم موقـع الإمـام الحسـين (عليـه السـلام) والشـعائر الحسـينية في الديـن وفي الحيـاة .

فيتحصّـل مـن كلّ مـا تقـدّم : أنّ الاعـتراض عـلى تعظيـم بعـض الشـعائر مـن جهـة التحـضّر والخـروج عـن النهـج الحداثـوي كـما يعـبّرون في الحيـاة لا يسـتند إلى منطـق علمـي ولا حضـاري فضـلا عـن مخالفتـه لحكـم العقـل والـشرع .